مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــاءت حكمة الله ، جل جـــلاله ، أن يتخذ لنفســـه بيتاً ، يدعو إليـــه عبـــاده ، ليزوروه فيه ، وشــــاءت حكمة الله ، أن يجعل أيام الحج الحاســـمة حرمـــاً ، وأن يجعل مكانـــه المرموق حرمـــاً ، وأن يجعل لأعمالـــه حرمـــة تســـري إلى قلوب الحجاج أجمعين ، حينما يلبســـون ثياب الإحرام ، فيصبحون سواســـية في مقصـــدهم ، ومظهـــرهم ، وفي ظل هذه الحرمات يتحقق الأمن للمسافرين ، وتروج الســـوق للمتجرين ، ويطيب الوصـــال للزائـــرين ، وتختمر معانـــي الأخـــوة في نفوس المســـلمين ، وينفض موســـم الحج عـــن قلوب بجلال الله مفعمة ، وأرواح بأنـــوار اليقين مشـــرقة ، وآمـــال بعلو كلمة الله متفتحة ، وعزائـــم على متابعة الســـلوك إليه متجددة ، وأواصر حول لوائه منعقدة .

والعبادات الشعائرية ، و التعاملية ، والأخلاقية ، معللة بمصـــالح الخـــلق ، في دنياهم ، وأخراهم ، و تضـــييعها أن تفرغ من مضمونها ، وأن تؤدى أداء أجوفاً ، شكلياً .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ، والصوم سبيل إلى التقوى ، والزكاة تطهر وتزكي ، والحج رحلة إلى الله .

وحينما لا تؤدى العبادات على النحو الذي شـــرعت له ، يقال للمصلي : ضـــيعك الله كما ضيعتني ، ويقال للصـــائم : ليس لك من صـــيامك إلا الجوع والعطش ، ويقال للمنفقين الفاســـقين : لن يتقبل منكم إنـــكم كنتم قوماً فاســـقين ، ويقال للحاج بمال حـــرام : لا لبيك ولا ســـعديك ، وحجـــك مردود عليك .

من هذا المنطلق أردت لهذا الكتيـــب أن يتضـــمن بعضـــاً من حكـــم الحـــج وأسراره ، ووصـــفاً لبعض المشـــاعـــر المقدسة ، التي ينبغي للحاج أن يشعر بها وهو في المشاعر المقدســـة ، وإشارة إلى الثمار التوحيدية اليانعة ، التي يمكن للحاج أن يقطفها من حجه .

ولم أضـــمن كتيبي هذا أحكام الحـــج الفقهيـــة ، لأن المكتبات زاخرة بعشرات الكتب ، التي تشرح ــ بإسهاب ــ أعمـــال الحج والعمرة ، على اختلاف المذاهب المعتمدة ، فالأولى أن يتجه الإنسان إلى الجدة لا إلى التقليد .

وأرجـــو الله جل وعلا أن يكون هذا العمـــل خالصـــاً وصواباً ، والله الموفق .

محمد راتب النابلسي
أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق
خطيب جامع الشيخ عبد الغني النابلسي
مدرس ديني في مساجد دمشق

فهرسة الكتاب

بِسْــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

رحلة قبل الرحلة الأخيرة

في حياة الإنسان الشارد ، قِيَمٌ ماديّة طاغيَة ، هي بِشَكل أو بآخر ، موازين غير صحيحة ، يوزنُ بها الإنسان في المجتمع الماديّ ، كالمال ، والقوّة ، والوسامة ، والذكاء .... وهي قِيَمٌ مُضلّلة ، تحجب الإنسان عن حقيقته الإنسانيّة ، وعن رسالته الربانيّة ، تحجبه عن سرّ وُجوده ، وغاية وُجوده ، وعن مصيره الأبدي ...

وحينما يرحل الإنسان من حياته الدنيا الفانيَة ، إلى حياته الأخرى الباقِيَة ، يُصْعَق ، حينما تنهار أمامه ، القِيَم الماديّة ، وتتعطّل الموازين غير الصحيحة ، وتسقط الأقْنِعَة المزيّفة ، وتنْزاح الحُجَب المضلّلة ، كلُّ هذا بعد فوات الأوان ، يُصْعق ، حينما يقيَّمُ عملهُ في الدنيا ، وفْق مدى معرفته بربّه ، ومعرفته بمَنهج ربّه ، واستقامته على منهج ربّه ، وبحجْم أعماله الصالحة ، التي نفعَ بها الخلق ، ولئلا يُصْعق الإنسان ، في رحلته الأخيرة ؛ فرض الله الحج على المُسْتطيع ، وهو الموسِر ، لِيَكون رحلةً إلى الله ، قبل الرحلة الأخيرة ، فلعلّهُ يستعِدّ ، من خلال دروسها البليغة للرحلة الأخيرة .

***

التجرد والمساواة

يأتي الحاج المستطيع إلى بيت الله الحرام ، حاسر الرأس ، بادي القدمين ، مشتمل الإزار ، مجرداً من الثياب ، التي يعبر بها الإنسان ، في أكثر الأحيان ، عن غناه المادي ، أو عن مرتبته الاجتماعية ، أو عن منصبه الرفيع .. لقد نزع الحاج ثيابه ، ونزع معها أقنعة المال ، والجاه والسلطان .. يأتي البيت الحرام ليطوف ويسعى ، فلا يجد امكنة لعلية القوم ، وأخرى لسوقتهم ، إنه مكان واحد يطوف فيه الغني والفقير ، والأمير والخفير ، والقوي والضعيف ، في بيت الله الحرام تزول الفوارق بين البشر ، وتتحقق المساواة بين الخلق ، ولا يبقى من المرجحات إلا مرجح واحد وهو التقوى .. لقوله تعالى ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))

التجرد والمساواة / سمتان بارزتان في الحج .. فيهز الحاج جلالة الموقف ، ويغمر قلبه الخشوع ، وتفيض بالدمع عيناه ، ويتوجه إلى الله ، داعياً ، متضرعاً ، تائباً ، مستغفراً ، وهو يرى الجموع الحاشدة ، وقد لفت أبدانها بأقمشة بيضاء تشبه الأكفان يذكره هذا الموقف

بيوم القيامة ، حيث يقوم الناس لرب العالمين . حقاً إن الحج رحلة قبل الأخيرة ، تذكر الحاج بالرحلة الأخيرة .

* * *

من حدود الذات إلى رحاب الكون

العبادات الشعائرية ، ومنها الحج ، وسائل ينتظر أن ينعقد خلالها اتصال بين هذا الإنسان ، الحادث الفاني ، المحدود ، الصغير ؛ وبين الأصل ، المطلق ، الأزلي ، الباقي ، الذي صدر عنه هذا الوجود ، وعندها ينطلق الإنسان من حدود ذاته الصغيرة ، إلى رحابة الكون الكبير ؛ ومن حدود قوته الهزيلة ، إلى عظمة الطاقات الكونية ، ومن حدود عمره القصير ، إلى امتداد الآباد ، التي لا يعلمها إلا الله .

هذا الاتصال لا ينعقد إلا بشرط أن يكون الإنسان ملتزماً بالمنهج التعبدي ، فيما بينه وبين الله ، وبالمنهج التعاملي ، والأخلاقي ، فيما بينه وبين الخلق .

هذا الاتصال هو جوهر الدين ، فالصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين .

فمن ثمار هذا الاتصال أنه يطهر الإنسان من عوامل انحطاطه ، وشقائه " الصلاة طهور " ، وأنه ينور قلب المتصل بنور علوي ، يريه حقائق الأشياء ، فلا ينخدع بصورها " الصلاة نور " وأنه يسعد المتصل سعادة ، تنبع من ذاته ، فالمتصل بالله ، طاهر السرير ، مستنير البصيرة ، منغمس في سعادة ، لا تستطيع سبائك الذهب اللامعة ، ولا سياط الجلادين اللاذعة ، أن تصرفه عنها .

هذا الاتصال يتفاوت كماً ونوعاً ، وأمداً ، من عبادة إلى أخرى .

ففي الصلاة يشحن المصلي شحنة روحية ، تطهره ، وتنوره ، وتسعده إلى الصلاة التي تليها .

لكن فريضة الجمعة ، وخطبتها ، ينبغي أن تشحنه شحنة ، أكبر وأطول ، ينبغي أن تشحنه إلى الجمعة التي تليها .

أما الصيام فقد أراده الله ثلاثين يوماً ، يترك فيها الصائم طعامه وشرابه لتكون الشحنة الروحية كافية لعام كامل .

وأما الحج فهو عبادة تؤدى في العمر مرة واحدة فرضاً ، وهو ع بادة شعائرية مالية ، بدنية ، تؤدى في أوقات معلومة ، وأمكنة مخصوصة ، لذلك تحتاج إلى تفرغ تام من تعلقات الدنيا ، كالوطن ، والأهل ، والأولاد ، والعمل ؛ وتفريغ كامل من كل الحجب ، والأقنعة التي تبعد النفس عن خالقها ، فلا بد للحاج من أن يخلع ثيابه التي تعبر بشكل أو بآخر عن دنياه ، ولابد أن يبتعد عن أكثر المباحات التي تشده إلى الدنيا ... كل هذا من أجل أن يشحن المؤمن في الحج شحنة روحية كبيرة ، تكفي لأن يلتزم بمنهج الله ، وأن يقبل عليه ، وأن يعمل للدار الآخرة إلى أن يلقى ربه .

***

إحكام الصلة بالله تعالى

والعبادات تنظم علاقة الإنسان بربه، بينما المعاملات تنظم علاقته بأخيه، وإذا صحت العبادات، ارتقت المعاملات وكان ارتقاء المعاملات مؤشرا على صحة العبادات.

والعبادات تهدف أول ما تهدف إلى السمو بالإنسان نفسا وقولا وعملا ، عن طريق إحكام الصلة بالله رب العالمين ، والهتداء بهديه ، والتنعم بقربه ، والتقلب في رحمته والارتشاف من عذب شرابه وقطف ثمار فضله ، ومن المنطلق ، شرعت العبادات الشعائرية ، كالصلاة والصيام والحج.

الحج هو احد اركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة مالية ، بدنية ، شعائرية ، وهو تلك الرحلة الفريدة في عالم الاسفار ، ينتقل فيها المسلم ببدنه وقلبه ، الى البلد الامين ، الذي اقسم الله به ، في القران الكريم ، ليقف في عرفات ، وليطوف ببيت الله الحرام ، الذي جعل رمزا لتوحيد الله ، ووحدة المسلمين ، ففرض على المسلم ان يستقبله كل يوم خمس مرات في صلواته ، قال تعالى:

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[سورة البقرة :144]

ثم فرض عليه ان يتوجه اليه بشخصه ، ويطوف به بنفسه ، في العمر مرة واحدة .

ان هذا البيت العتيق ، هو اول بيت وضع للناس ، هو اول بيت اقيم في الارض لعبادة الله ، ومجدد بنائه الخليل ابراهيم ، وولده الذبيح اسماعيل ، وهما الرسولان الكريمان اللذان جعل الله

من ذريتهما ، هذه الامة المسلمة واستجاب دعوتهما الخالصة ، وهما يشيدان هذا البناء العتيد ، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة البقرة :127-129]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ابن مريم))

والحج برهان عملي يقدمه المؤمن لربه ولنفسه ، على ان تلبية دعوة الله – بدافع محبته وابتغاء رضوانه – أفضل عنده من ماله ، واهله ، وولده ، وعمله ، ودياره.

ولذلك تتميز هذه العبادة ، بانها تحتاج الى تفرغ تام ، فلا تؤدي الا في بيت الله الحرام ....

اذا ... لا بد م ن مغادرة الاوطان ، وترك الاهل والخلان ، وتحمل مشاق السفر ، والتعرض لاخطاره ، وانفاق المال في سبيل رضوانه ، واذا صح ان ثمن هذه العبادة باهظ التكاليف ، فانه يصح ايضا ، ان ثمرة هذه العبادة باهرة النتائج .

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم :

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه))

وقال ايضا :

((وان الحج يهدم ما قبله))

((وان الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة))

((فالحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم))

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب))

((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله))

الحج فرض عين ، على كل مسلم ومسلمة ، بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع ، مرة واحدة في العمر كله ، يكفر جاحده ، ويفسق تاركه ، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم :

((من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت غير مسلم))

وهو الركن الخامس من اركان الاسلام ، الذي علم من الدين بالضرورة ، حيث قال النبي عليه الصلاة والسلام

((بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة واي تاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا))

والحج عبادة قولية ، وقلبية ، وبدنية ، ومالية ، وشعائرية ، تؤدى في امكنة مخصصة ، وفي ازمنة مخصصة ، وباعمال مخصصة ، واذا كانت الصلاة تتكرر في اليوم الواحد خمس مرات ، وفريضة الجمعة تؤدى كل اسبوع ، وفريضة الصوم تؤدى في العام شهرا ، فان فريضة الحج تجب في العمر كله مرة واحدة لقوله صلى الله عليه وسلم :

((الحج مرة فمن زاد فهو تطوع))

الحج رحلة الى الله ، فقد شاءت ارادته ، لحكمة مطلقة ، مراعاة للنزعة المادية ، في كيان الانسان ، ان يضع للناس في الارض بيتا له ، يمكن المؤمنين به ، من ان يعبروا من خلال اتيانه ، من كل فج عميق ، ان يعبروا عن حبهم لله ، وشوقهم اليه ، فالمؤمن يؤكد من خلال قصده البيت الحرام ، ملبيا دعوة ربه ، ان الله احب اليه من اهله ، وولده ، وماله ، وعمله ، وبلده ،

والناس اجمعين ، فيتحمل نفقات الحج التي ربما تكون باهظة ، ويتحمل ترك الاهل ، والولد ، الذي ربما كان صعبا ، ويتحمل ترك العمل والكسب الذي ربما كان اثيرا ، كل ذلك حبا لله وطمعا بالقرب منه.

وشاءت حكمة الله ، ان يكون بيته الحرام ، في المنطقة الحارة من الارض ، وفي واد غير ذي زرع ، ليكون واضحا لدى الحجاج ان الاتصال الحقيقي بالله ، يحقق للمرء سعادة ، يستغني بها عن كل الشروط المادية ، التي يتوهم انها سبب سعادته ، وان سعادة الانسان تنبع من داخله ، لا مما يحيط به نفسه من الوان النعيم.

ولو كان بيت الله الحرام ، في المنطقة المعتدلة ، من الارض ، حيث الجبال الخضراء ، والمياه العذبة ، والبحيرات الصافية ، والبساتين الغناء ، والجو اللطيف ، والنسيم العليل ، وكان الحج على مدار العام ، دفعا للازدحام ، لأقبل كل الخلق على اداء الفريضة الممتعة طلبا للاستجمام ، لا حبا بخالق الاكوان ، قال تعالى

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

[سورة ابراهيم :37]

وفضلا عن موقع البيت الحرام ، وعن طبيعة الجو فيه ، فان الحاج المحرم ، يحظر عليه لبس المخيط من الثياب ، ويحظر عليه التطيب بكل انواعه ، ويحظر عليه الحلق والتقصير ، ويحظر عليه مقاربة المتع المباحة خارج الحج ، كل ذلك ليحكم اتصاله بالله ، وليسعد بقربه وحده ، بعيدا عن كل مداخلة من متع الارض ، ليتحقق الحاج انه اذا وصل الى الله وصل الى كل شيء ، وان الدنيا كلها لا يمكن ان تسعد الانسان ، ولينطلق لسانه بشكل عفوي قائلا : يا رب ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك .

***

الاستطاعة

والاستطاعة التي وردَت في الآية الكريمة ، التي تُعَدّ أصْلاً في فرضيّة الحجّ وهي قوله تعالى :

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ
حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾

[سورة آل عمران]

هي استطاعة بدنيّة وماليّة وأمْنيّة ؛ فالمسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمّل أداء مناسك الحجّ ، بِغَلَبَةِ يقينه ، أو بإخبار طبيب ، متخصّص ، مسلمٍ ، حاذق ، ورع ؛ يجزئه أن يكلّف من يحجّ عنه في حياته ، أو يوصي بِحَجّة بدلٍ بعد مماته ، وفق أحكام هذا النوع من الحجّ ، والمسلم الذي لا يملك المال الكافي ، الذي يُغَطِّي نفقات الركوب بأنواعها ، ونفقات السَّكَن في مكَّة والمدينة ، وثمن الطّعام والشراب ، فضلاً عن نفقات أهله وولده في غَيْبَتِهِ ، ليس مستطيعًا ، فلا ينبغي للمسلم غير المستطيع ، أن يبذل ماء وجهه من أجل جمع نفقَةَ الحجّ ، ولا أن يسْلُكَ المسالِكَ المُلْتَوِيَّة ، من أجل أن يحصّل نفقة الحجّ ، فإنَّه في الأصْل ليس مستطيعًا ، ولا حجَّ عليه ، وحينما يقرّر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظامًا يُتيحُ لِمَن لم يحجّ أن يحجّ ، ويمنع من حجّ حجَّة الفريضة ، قبل أقلّ من خمسة سنوات أن يحج ، حينما يكون الباعث على هذا التنظيم ، إفْساح المجال للمسلمين الذين لم يحجُّوا حجَّة الفريضة ، أن يؤدُّوها ، بيُسْرٍ وطمأنينة ، فلا ينبغي للمرء أن يرتكبَ معْصيَةً ، لِيَحُجّ حجَّةً نافلة ... فالمُسلم الذي لم يُسْمَح له أن يحجّ ، لا يُعَدُّ مستطيعًا .

***

النفقة الطيبة

وما دام الحجّ من العبادات المالية ، التي تسْتوجِبُ إنفاق المال ، فلا بد في المال الذي سينفقه الحاج في هذه الفريضة من أن يكون مالاً طيباً وحلالاً ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا** " [رواه مسلم] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "**إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في**

الغرز (ركاب الدابة) فنادى : لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور .

[رواه الطبراني]

وبما أنَّ الحجّ فريضةٌ فرضَها الله تعالى على المُستطيع ، والفقير ليس مستطيعًا ، فلا ينبغي للفقير أن يقترضَ لِيَحُجّ ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بنِ أبي أوْفَى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أو يستقرض ؟ قال : لا . رواه البيهقي .

والمَدين لا تُقبلُ حجَّه إلا بِمُوافقة دائنِهِ ....

***

تفقهوا قبل أن تحجوا

وبما ان عبادة الحج فرضها الله على المستطيع ، في العمر كله مرة واحدة ، فان اخل الحاج في مناسكها ، فلم يؤد ركنا ، او نسي واجبا ، او ترك سنة ، او حرص على سنة ، ادت الى انتهاك حرمة ، او اقتراف معصية ، او فعل محظورا ، فقد ابطل حجه ، او لزمه الدم ، او اساء او قصر او ترك الاولى ، ان فعل هذا ، فقد ضيع فرصة فريدة ، لا تتكرر ، فرصة لمغفرة ذنبه واستحقاقه جنة ربه ، كل هذا بسبب الجهل ، الذي هو اعدى اعداء الانسان ، فالجاهل يفعل بنفسه ، مالا يستطيع ان يفعله عدوه به ، لذلك نقول:

ايها الحجاج ، تفقهوا قبل ان تحجوا ، فعالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد ، وقليل من الفقه خير من كثير من العبادة ، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .

وكما ان انتظار الصلاة من الصلاة ، كذلك الاعداد الفقهي للحج من الحج ، فكم من حاج اهمل التفقه قبل الحج ، وعاد من الحج ولم يطف طواف الركن ، فبطل حجه ، وكم من حاج اجتاز الميقات المكاني غير محرم ، فلزمه دم ، وكم من حاج فعل محظورات الاحرام ، وهو يحسب انه يحسن صنعا.

***

سلم أوليات

من فقه الرّجل أن يتحرّك في حياته وفْق سُلَّم الأوْلويَّات ، فإذا أدَّى حجَّة الإسلام ، وهي حجَّة الفريضة ، وتاقَتْ نفسهُ إلى أن يحجّ مرّة ثانية وثالثة ... وكان مستطيعًا بِمَاله ، وبدنه ، وموافقة أولي الأمر له ، ولم يُسْهِم من خلال تصريح غير مطابق للواقع في حِرْمان مسلمٍ من حجّة الفريضة ، وكان قد أدَّى كلّ ما عليه من واجبات تجاه والديه وأولاده وأخوته وأخواته وأصدقائهِ وجيرانه ، فلا عليه أن يحجّ ثالثة ورابعة ، فالحجّ جهاد لا شوْكة فيه ، وهو جهاد الكبير والمرأة والضعيف ، وقد ورد في الحديث القدسي :

" **إذا أصححت لعبدي جسمه ، ووسعت عليه في المعيشة ، فأتت عليه خمسة أعوام لم يفد إلي لمحروم** " ... لكن حينما يحجّ المسلم حجَّة الفريضة ، وله ولدٌ في سنّ الزواج ويخشى عليه الانحراف ، فالأولى أن يُزَوِّجه بدلَ أن يحجّ حجَّة النَّفْل ، لأنّ درْء المفاسِد مقدّم على جلْب المصالح ، ولأنّ الله لا يقبلُ نافلةً أدَّتْ إلى ترْك واجبٍ ، قال تعالى :

وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ

[سورة البقرة]

" اللهمّ حجَّة لا سمعة فيها ولا رياء " . ومعنى هذا أن انحراف الحاج ، أن يبتغي من حجه السمعة والرياء .

قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه خرج عبد الله بن المبارك إلى الحجّ ، فاجْتازَ بعض البلاد ، فمات طائرٌ معهم ، فأَمَرَ بإبقائهِ في قُمامة البلدة ، وسار أصحابهُ أمامه ، وتخلّف هو وراءهُم ، فلمَّا مرَّ بالقمامة إذْ بِبِنْتٍ صغيرة قد خرجَت من دارٍ قريبة ، وأخذتْ ذلك الطائر الميّت ، ثمَّ أسْرعَت به إلى الدار ، فجاء آدم المبارك وسألها عن أمرها وأخذ الطائر الميّت ، فاسْتَحْيَت أوَّلاً ثمَّ قالَت : أنا وأمّي هنا ، وليس لنا شيءٌ إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوتٌ إلا ما يُلقى على هذه القمامة ، وكان لنا والدٌ ذو مالٍ عظيم فَأُخِذَ مالهُ ، وقُتِلَ لِسَبب من الأسباب ، ولم يبقَ عندنا شيءٌ نتبلّغ ، أو نقْتاتُ منه ، سَمِعَ ذلك آدم المبارك فَدَمِعَتْ عَيْناهُ، وأمرَ برَدّ الأحمال والمؤونة وقال لِوَكيلِهِ : كم معَكَ من النّفقَة ؟ فقال : ألف دينار قال : أبْقِ لنا عشرينَ دينارًا تَكفينا لإيابنا وأعْطِ الباقي إلى هذه المرأة المُصابة ، فو الله لقد أفْجَعَتني بِمُصيبتها ، وإنَّ هذا أفضلُ عند الله من حجِّنا

هذا العام ، ثمّ قفَلَ راجعًا ، ولم يحجّ واعْتَقدَ أنَّ هذه الصَّدَقة فوق الحجّ المبرور ، والسَّعي المشكور ، هكذا كان السّلف الصالح يعرفون حقيقة العبادات ، ويعرفون قيمة المعاملات ، أَلَمْ يردْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لأن أمشي مع أخٍ في قضاء حاجته خير من صيام شهر ، واعتكافه في مسجدي هذا ؟

***

أداء حقوق العباد

ولكي تؤدى هذه العبادة العظيمة ، على نحو يقبلها الله ، ويرضى عنها ، ولئلا ينفق الإنسان المال الكثير ، والوقت الثمين ، ويتجشم المشاق ، ثم لا تقبل حجته ، ويقال له : لا لبيك ولا سعديك ... وحجك مردود عليك ! .. لئلا تضيع حجته سدى .. عليه أن يتوب قبل الذهاب إلى الحج ، من كل الذنوب والآثام ، كبيرها وصغيرها ، جليلها وحقيرها ، فيتجنب كل كسب حرام ، وكل علاقة متلبسة بالآثام ، عليه أن يؤدي الحقوق ، ويقلع عن الذنوب ، والأهم من هذا أن يعقد العزم ، على ألا يعود إليها بعد الحج ، وإلا أصبح الحج من الطقوس ، لا من العبادات .. فمن الخطر الكبير ، والوهم الخطير ، أن يظن الحاج ، أن الحج يهدم كل ما قبله من الذنوب ، وفيه تغفر كل خطيئة ... وقد أتفق على أن الأحاديث الشريفة ، التي تبين أن الحاج يعود من الحج كيوم ولدته أمه ، وقد غفرت ذنوبه كلها ، هذه الذنوب التي أشار إليها النبي هي الذنوب التي بين العبد وربه حصراً .. أما الذنوب التي بينه وبين الخلق ، وأما الحقوق التي في ذمته ، وأما الواجبات التي قصر في أدائها فهذه لا تسقط ولا تغفر ، إلا بالأداء أو المسامحة ، فالذنوب ثلاثة : ذنب لا يغفر وهو الشرك بالله ، وذنب لا يترك ، وهو ما كان بين العبد والخلق ، وذنب يغفر ، وهو ما كان بين العبد وربه ...

***

المشاعر المقدسة

قال تعالى :

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

[سورة البقرة : 158]

وقد ورد في اللغة أن المشاعر هي المعالم والمناسك ... أي الأعمال التي يؤمر بها الحاج ، في تلك الأماكن ، ومفردها : شعيرة . وفي قوله تعالى :

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾

[سورة البقرة : 198]

والمشعر المعلم الظاهر ، وجمعها ((مشاعر)) والمشاعر المقدسة هي الأماكن المقدسة.

والآن ألا ينبغي للحاج ، وهو في المشاعر المقدسة ، أن يشعر بمشاعر مقدسة ؟

ألا ينبغي للحاج ، وهو في بيت الله الحرام ، يطوف حول الكعبة ، أن يشعر بمشاعر المحب يطوف حول محبوبه ، وأن يشعر وهو يسعى بين الصفا والمروة ، بمشاعر الساعي المشتاق لمطلوبه...؟ ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو ينحر الأضاحي ، أنه ينحر شهوته التي تحجبه عن ربه ...؟ألا ينبغي للحاج أن يشعر وهو يرجم الشيطان ، أن الرجم تعبير يرمز إلى معاداة الشيطان للأبدية...؟ ألا ينبغي للحاج أن يشعر ، وهو في الروضة الشريفة ، أنه في روضة من رياض الجنة ...؟

مجمل القول : ينبغي للحاج ، وهو يؤدي نسك الحج ، في المشاعر المقدسة ، أن يشعر بمشاعر مقدسة ، تتنوع بتنوع الأمكنة ، وتنوع النسك ، فكل منسك له شعوره الخاص ، وهذا الشعور هو محصلة إيمانه.

ومن هذا يتضح أن الحج عبادة ، قوامها اتصال متميز بالله عز وجل ، وثمنها التفرغ التام ، إذ لا تؤدى إلا في بيت الله الحرام ... إذاً لا بد من مغادرة الأوطان ، وترك الأهل والخلان ،

وتحمل مشاق السفر ، والتعرض لأخطاره ، وإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله ، وإذا صح أن ثمن هذه العبادة باهظة التكاليف، فإنه يصح أيضاً أن ثمارها باهرة النتائج .

يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام ، ويخلف في بلدته هموم المعاش والرزق ، هموم العمل والكسب ، هموم الزوجة والولد ، هموم الحاضر والمستقبل ، وبعد أن يحرم من الميقات يبتعد عن الدنيا كلياً ، ويتجرد إلى الله عز وجل ويقول:

((لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك))

هذه التلبية كأنها استجابة لنداء ، ودعوة ، يقعان في قلبه أن يا عبدي خل نفسك وتعال ! تعال ياعبدي لأريحك من همو م كالجبال ، تجثم على صدرك ، تعال ياعبدي لأطهرك من شهوات تنغص حياتك.

الى متى انت بالذات مشغول وانت عن كل ما قدمت مسؤول

تعال يا عبدي وذق طعم محبتي ! تعال يا عبدي وذق حلاوة مناجاتي !

((لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك))

تعال يا عبدي لاريك من اياتي الباهرات تعال لاريك ملكوت الارض والسماوات تعال لاضيء جوانحك بنوري الذي اشرقت به الظلمات تعال لاعمر قلبك بسكينة عزت على اهل الارض والسماوات تعال لاملا نفسك غنى ورضى شقيت بفقدهما نفوس كثيرات تعال لاخرجك من و حول الشهوات الى جنات القربات تعال لانقذك من وحشة البعد الى انس القرب تعال لاخلصك من رعب الشرك وذل النفاق الى طمانينة التوحيد وعز الطاعة

((لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك))

تعال يا عبدي لانقلك من دنياك المح دودة وعملك الرتيب وهمومك الطاحنة الى افاق معرفتي وشرف ذكري وجنة قربي تعال يا عبدي وحط همومك ومتاعبك ومخاوفك عندي فانا اضمن لك زوالها تعال يا عبدي واذكر حاجاتك وانت تدعوني فانا اضمن لك قضاءها.

((ان بيوتي في الارض المساجد وان زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تط هر في بيته ثم زارني وحق على المزور ان يكرم الزائر))

فكيف يكون اكرامي لك اذا قطعت المسافات وتجشمت المشقات وتحملت النفقات وزرتني في بيتي الحرام ووقفت بعرفة تدعوني وتسترضيني

((لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك))

تعال يا عبدي وزرني في بيتي لتنزاح عنك الاوهام ولتعاين الحقائق ولتستعد للقاء

((فان عبدا اصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة فمضت عليه خمسة اعوام لم يفد الي لمحروم))

تعال يا عبدي وطف حول الكعبة طواف المحب حول محبوبه واسع بين الصفا والمروة سعي المشتاق لمطلوبه تعال يا عبدي وقبل الحجر الاسود يميني في الارض واذرف الدمع على ما فات من عمر ضيعته في غير ما خلقت له وعاهدني على ترك النعاصي والمخالفات والاقبال على الطاعات والقربات وكن لي كما اريد اكن لك كما تريد كن لي كما اريد ولا تعلمني بما يصلحك فاذا سلمت لي فيما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لي فيما اريد اتعبتك في ما تريد ثم لا يكون الا ما اريد خلقت لك ما في الكون من اجلك فلا تتعب وخلقتك من اجلي فلا تلعب فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك

((لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك))

تعال يا عبدي الى عرفات يوم عرفة فهو يوم اللقاء الاكبر تعال لتتعرض لنفحة من نفحاتي تطهر بها قلبك من كل درن وتصفي نفسك من كل شائبة وهم هذه النفحات تملا قلبك سعادة وطمأنينة وتشيع في نفسك سعادة لو وزعت على اهل بلد لكفتهم عندئذ لا تندم الا على ساعة امضيتها في قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال

تعال لعرفات يوم عرفة لتعرف انك المخلوق الاول من بين كل المخلوقات ولك وحدك سخرت الارض والسماوات وانك حملت الاما نة التي اشفقت منها الجبال الشاهقات واني جئت بك الى الدنيا لتعرفني وتعمل عملا صالحا يؤهلك لجنة الخلد تعال الى عرفات يوم عرفة لتعرف ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وانك ان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء

وبعد ان يذوق المؤمن في عرفات من خلال دعائه واقباله واتصاله روعة اللقاء وحلاوة المناجاة ينغمس في لذة القرب عندئذ تصغر الدنيا في عينيه وتنتقل من قلبه الى يديه ويصبح اكبر همه الاخرة فيسعى الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقد يكشف للحاج في عرفات ان كل شيء ساقه الله له مما يكرهه هو محض عدل ومحض فضل ومحض رحمة ويتحقق من قوله تعالى

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة :216]

* * *

الحج عرفة

وركن الحج الأكبر الوقوف بعرفة ، **((فالحـــج عرفة))** كما قال علية الصلاة والسلام لذلك يعد " **يوم عرفة** " يوم اللقاء الأكبر ، بين العبد المنيب المشتاق ، وبين ربه التواب الرحيم ، فيوم عرفة يوم المعرفة ، ويوم عرفة يوم المغفرة ، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسماوات ، ومن هنا قيل : من وقف في عرفات ، ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له ، فلا حج له .

عن جابر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما من أيام عند الله افضل من عشر ذي الحجة ، فقال رجل هن أفضل أم من عدتهن جهاداً في س بيل الله ، قال : هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء يقول : انظروا**

عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين ، جاؤوني من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة)) .

[قال المنذري رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له]

وروى ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن علي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تثوب فقال : يا بلال أَنصِت لي الناس ، فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنصت الناس ، فقال عليه الصلاة والسلام : **((معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربـــــــي السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام و ضمن عنهم التبعات))** ، فقـــام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذه لنا خاصة ؟ قال : هذه لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة ، فقال عمر رضي الله عنه ، كثر خير الله وطاب.

وروى الإمام مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنوا عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماذا أراد هؤلاء))** .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ فـنه من يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أري من يوم بدر ، قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله ، أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة))** ، أي يقودهم .

[رواه الإمام مالك مرسلاً والحاكم موصولاً]

أيها الإخوة الكرام ، روى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير))** .

ويروى عن حسين المروزي قال سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقلت له : هذا ثناء ، وليس بدعاء ، فقال : أما تعرف حديث مالك بن الحارث ، هو تفسيره ، قلت حدِّثــنيه أنت ، فقال : حدثنا مالك بن الحارث قال يقول الله عز وجل : **((إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيتـــــه أفضل م ا أعطي السائليـــــن))** ، قال : وهذا تفسير قول النبي ، ثم قال سفيان : أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبد الله بن جدعان يطلب نائله " أي عطاءه " ، قلت لا قال ، قال أمية :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت ورع لك الحسب المهذب والثناء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال : يا حسين ، هذا مخلوق يكتفى بالثناء عليه ، دون مسألة ، فكيف بالخالق ؟.

قصة سيدنا يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت خير مؤكد لهذا المعنى ، فما من مصيبة أشد من أن يجد الإنسان نفسه فجأة في ظلمة بطن الحوت ، و ظلمة أعماق البحر ، وظلمة الليل ، وما من مصيبة انقطعت معها كل أسباب الخلاص كهذه المصيبة فنادى:

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

[سورة الأنبياء]

فاستجبنا له ، دققوا في كلمة فاستجبنا ، أي أن الله جل جلاله عد ثناء يونس دعاء ، " فاستجبنا له ونجيناه من الغم " ، انتهت القصة ، ولئلا يظن قارئ القرآن أنها قصة تاريخية وقعت مرة ، ولم تقع مرة أخرى جعلها الله قانوناً بهذا التعقيب ، جعلها الله قانوناً ساري المفعول في كل زمان ومكان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال :

وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

[سورة الأنبياء]

فالمؤمن لا يقنط ، ولا ييأس من رحمة الله .

***

الله أكبر

لذلك لا يسع الحاج بعد أن أفاض من عرفات ، وقد حصل له هذا اللقاء الأكبر ، وأشرقت في نفسه أنواره ، واصبغت نفسه بصبغة الله ، لا يسعه وقد ذكر فضل الله عليه ، عند المشعر الحرام ، ذكره ، وشكره على نعمة الهدى ، والقرب ، لا يسعه وقد عبر تعبيراً رمزيا عن عداوته الأبدية للشيطان ، برمي جمرة العقبة ، لا يسعه بعد أن لبى دعوة ربه ،

وحظي بقربه ، ورأى طرفاً من جلال ربه ، وكماله ، وإكرامه ، لا يسعه إلا أن يكبر الله على نعمة الهدى ، والقبول ، والقرب .

لذلك قطع النبي صلى الله عليه وسلم التلبية بعد رمي جمرة العقبة ، والحلق ، و بدأ بالتكبير .

الله أكبر ، مع أخواتها ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، هي الباقيات الصالحات في قوله تعالى:

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

[سورة الكهف]

فالمرء إذا سبح الله حقيقة وحمده ووحده وكبره فقد عرفه وإذا عرفه أطاعه ، وإذا أطاعه استحق جنته ، وما عند الله خير ، وأبقى من الدنيا الدنية الفانية .

والله أكبر يفتتح بها الأذان ، ويختم بها ، ليشعر المسلم ، وهو يسمع الأذان ، وهو منغمس في عمله وتجارته أن ما عند الله حينما يمتثل العبد أمره بتلبية النداء أكبر من كل شيء بين يديه مهما يكن كبيراً .

والله أكبر نفتتح بها صلاتنا ، ونرددها في أثناء الصلوات الخمس ما يزيد عن مائتين وخمسين مرة في اليوم الواحد ، وقد أصاب بعض الفقهاء حين عدها أقربَ إلى الشرط الذي ينبغي أن يستمر طوال الصلاة منها إلى الركن الذي ينقضي بأدائه ، فالمصلي ينبغي أن يلحظ في أثناء صلاته أن الله أكبر من كل شيء يشغله عن الخشوع لربه .

والله أكبر نرددها عقب انتصارنا على أنفسنا ، عقب عبادة الصيام ، وعقب عبادة الحج ، لذلك سن لنا النبي صلى الله عليه وسلم التكبير في العيدين ، لأنه تحقيق للعبودية لله والعودة إليه أكبر من الدنيا وما فيها ، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله .

والله أكبر ، نرددها ونحن نواجه أعداءنا ، وبعد أن ننتصر عليهم من أجل أن نشعر أن الله أكبر من كل كبير ، وأن النصر من عند الله ، العلي القدير ، وإن تنصروا الله ينصركم .

والله أكبر يرددها المؤمن السالك إلى الله ، فتعني عنده أنه كلما كشف له جانب من عظمة الله جانب من قدرة الله جانب من رحمة الله جانب من إكرام الله تعني عنده أن الله أكبر مما رأى . وكما قال الإمام الشافعي : (كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي) .

ومجمل القول إن المؤمن مهما ازدادت معرفته بربه فلله أكبر مما عرف .

والعبرة كل العبرة لا في ترديد لفظها بل في معرفة مضمونها ، ومضمون هذا الكلمة يؤكده ، ويحدده سلوك المؤمن .

والنبي صلى الله عليه وسلم قمة البشر في معرفة مضمون كلمة " الله أكبر " .

أرسلت قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول له " لقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها ، إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، فلم يفلح في هذا المحاولة .

ثم حاولت قريش عن طريق عمه أبي طالب أن تكفه عن دعوته فقال له عمه أبو طالب: " يا ابن أخي أَبقِ على نفسك ، وعليَّ ، ولا تحمِّلني من الأمر مالا أطيق ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال قولته الشهيرة ، :**((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه))** .

الله أكبر قالها أصحاب رسول الله ، قالوها بألسنتهم ، وامتلأت بها قلوبهم ، وصدقتها أعمالهم ، ففعلوا وهم قلة ما نعجز عن فعل معشاره ، ونحن كثرة ، فالواحد ممن يقو لها ، ويصدقها عمله كألف ، والألف ممن يقولها ، ولا يصدقها عمله كأف .

سيدنا سعيد بن عامر ، أرادت زوجته أن تحمله على الكف عن الأنفاق في سبيل الله ، قال لها : "لقد كان لي أصحاب سبقوني إلى الله ، وما أحب أن أنحرف عن طريقهم ، ولو كانت لي الدنيا وما فيها ، وقد خشي أن تدل عليه بجمالها ، وهو سلاح النساء ، فقال لها : تعلمين أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت واحدة منهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر ، فلأن أضحي بك من أجلهن أحرى وأولى من أن أضحي بهن من أجلك .

قال هذا الصحابي الجليل : الله أكبر بلسانه ، وامتلأ بها قلبه ، وصدقها عمله .

راعٍ من عامة المسلمين يرعى شياهاً قال له ابن عمر ممتحناً : بِعْنِي هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، قال : ليست لي ، قال : قل لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب ، وخذ ثمنها ، قال والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ولو قلت لصاحبها ماتت أ و أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟!.

قال هذا الراعي ، الله أكبر بلسانه ، وامتلأ بها قلبه ، وصدقها عمله .

إذا أطاع المرء مخلوقاً كائناً من كان ، وعصى خالقه فهو ما قال الله أكبر ، ولا مرة، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لأنه إنما أطاع الأقوى في تصوره .

وإذا غش المرء الناس ليجني المال الوفير ، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لأنه إنما رأى أنما هذا المال أكبر عنده من طاعة الله ورسوله .

وإذا لم يقم المرء الإسلام في بيته إرضاء لأهله ولأولاده فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو ردَّدها بلسانه ألف مرة ، لأنه إنما رأى أن إرضاء أهله أكبر عنده من إرضاء ربه .

فكلمة الله أكبر لو عرف المسلون مضمونها فرددوها بألسنتهم ، وامتلأت بها قلوبهم ، وصدقتها أعمالهم ، لكانوا في حال آخر مع الله ، وموقف آخر مع الخلق .

فلنردد الله أكبر بألسنتنا ، ولنتعرف إلى مضمونها ، ولتكن أعمالنا مصدقة لها حتى نستحق أن يرحمنا الله ، وأن ينصرنا على أعدائنا .

***

رمي الجمرات

وبعد أن يفيض الحجاج من عرفات ، وقد حصلت لهم المعرفة ، واستنار قلبه ، وصحت رؤيته ، يرى أن السعادة كلها في طاعة الله ، وأن الشقاء كله في معصيته ، عندئذ يرى عداوة الشيطان ، وكيف أنه يعد أولياء بالفقر ، إذا أنفقوا ، ويخوفهم مما سوى الله ، إذا أنابوا وتابوا ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً

قال تعالى :

وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾

(سورة إبراهيم)

عندئذ يعبر الحاج عن عداوته للشيطان تعبيراً رمزياً برمي الجمار ، ليكون الرمي تعبيراً مادياً وعهداً موثقاً في عداوة الشيطان ، ورفضاً لوساوسه وخطراته .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : " اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان وتقصم ظهره "، ولا يحصل إرغام أنفه ، إلا بامتثالك أمر الله تعالى ....

***

نحر الأضاحي ذبح للشهوات

وحينما يتجه الحاج لسَوق الهدي ، ونحر الأضاحي ، وكأن الهدي هدية إلى الله تعبيراً عن شكره لله على نعمة الهدى التي هي أثمن نعمة على الإطلاق ، وكأن ذبح الأضحية ذبح لكل شهوة ورغبة في إرضاء الله عز وجل ، وتضحية بكل غ الٍ ورخيص ، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة الله رب العالمين .

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾

(سورة الحج)

***

طواف الإفاضة

ثم يكون طواف الإفاضة تثبيتاً لهذه الحقائق وتلك المشاعر ، ثم يطوف طواف الوداع لينطلق منه إلى بلده إنساناً آخر ، إنساناً استنار قلبه بحقائق الإيمان ، وأشرقت نفسه بأنوار القرب ، وعقد العزم على تحقيق ما عاهد الله عليه ، وإذا صح أن الحج رحلة إلى الله فإنه يصح أن تكون الرحلة قبل الأخيرة ، لتكون الرحلة الأخيرة مفضية إلى جنة عرضها السماوات والأرض .

***

فصل لربك وانحر

الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك فمشروعيتها أن الإمام أحمد وابن ماجة رويا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا))** ، وقد استنبط أبو حنيفة رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنها واجبة ، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب ، وقال غير الأحناف : إنها سنة مؤكدة ، ولهم أدلتهم .

فهي واجبة مرة في كل عام على المسلم الحر البالغ العاقل المقيم الموسر ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله تعال من إراقة الدم ، إنها** – أي الأضحية – **لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها** ، **وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفساً))** .

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : **((ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ، فرأيته واضعاً قدميه على صِفاحِهما يسمي ، ويكبر ، فذبحهما بيده الشريفة))** .

***

حكمة الأضحية

وحكمتها أن المسلم الموسر يعبر بها عن شكره لله تعالى على نعمه المتعددة منها نعمة الهدى ، ومنها نعمة البقاء على قيد الحياة من عام إلى عام ، فخيركم من طال عمره ، وحسن عمله ، ومنها نعمة السلامة ، والصحة ، ومنها نعمة التوسعة في الرزق ، وهو فضلاً عن ذلك تكفير لما وقع من الذنوب ، وتوسعة على أسرة المضحي وأقربائه وأصدقائه وجيرانه وفقراء المسلمين .

***

شروط وجوبها

ومن شروط وجوبها اليسار ، فالموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسية أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيام العيد فقط ، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية خلال العام كله ، على اختلاف بين المذاهب في تحديد معنى الموسر .

وينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب الفاحشة التي تؤدي إلى نقص في لحم الذبيحة ، أو تضر بآكلها فلا يجوز أن يضحي بالدابة البين مرضها ، ولا العوراء ، ولا العرجاء ، ولا ، العجفاء ، والجرباء ، ويستحب في الأضحية أسمنها ، وأحسنها .

وكان صلى الله عليه وسلم يضحي بالكبش الأبيض الأقرن .

***

وقت نحرها

ووقت نحر الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى وحتى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام العيد ، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول ما بعد صلاة عيد الأضحى ، وحتى قبل زوال الشمس ، ويكره تنزيهاً الذبح ليلاً ، ولا تصح الأضحية إلا من النعم ، من الإبل والبقر والغنم من ضأن ومعز ، بشرط أن يتم الضأن ستة أشهر ، وأن تتم المعز سنة كاملة عند بعض الأئمة .

***

مندوبات الأضحية

ويُجزئُ المسلم أن يضحي بشاة عنه ، وعن أهل بيته المقيمين معه ، والذين ينفق عليهم ، وهم جميعاً مشتركون في الأجر .

ومن مندوبات الأضحية أن يتوجه المضحي نحو القبلة ، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه ، وأن يقول : **((بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا منك وإليك ، اللهم تقبل مني ومن أهل بيتي))** .

ولــه أن يوكل غيره وعندها يستحب أن يحضر أضحيته ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة : **((قومي إلى أضحيتك فاشهديها ، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها))** .

ويستحب أن يوزعها أثلاثاً ، فيأكل هو وأهل بيته الثلث ، ويهدي لأقربائه ، وأصدقائه ، وجيرانه الثلث ، ويتصدق بالثلث الأخير على الفقراء والمسلمين لقوله تعالى :

فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ

[سورة الحج 36]

قال تعالى :

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

***

زيارة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم

وبعد أن ينتهي الحجاج من مناسك الحج يتجهون إلى المدينة المنورة التي هي من أحب بلاد الله إلى الله ، يتجهون إليها لزيارة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((**أنه من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**)) .

[رواه البيهقي بسند ضعيف]

وقد علقت في مكان بارز من الحجرة الشريفة الآية الكريمة :

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

(سورة النساء)

وقد أشار الإمام القرطبي إلى أن الآية تصدق على زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته ، وليس هذا لغير النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد أورد الإمام القاسمي صاحب التفسير الشهير في تفسير هذه الآية أن في هذه الآية تنويهاً بشأن النبي عليه الصلاة والسلام ، فالرجل حينما يظلم نفسه بمعصية ربه من خلال خروجه عن سنة النبي عليه الصلاة والسلام وجب عليه أن يستغفر الله أولاً ، وأن يعتذر من رسول الله ثانياً ، فلا تتم التوبة إلى الله ولا تقبل إلا إذا ضم إلى استغفار الله استغفار رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام عين طاعة الله ، ورفض سنة النبي عليه الصلاة والسلام عين معصية الله ، وإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين إرضاء الله ، يستنبط هذا من إفراد الضمير في قوله تعالى عند كلمة يرضوه :

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ

(سورة التوبة)

بضمير المفرد ، لأن إرضاء النبي عليه الصلاة والسلام عين إرضاء الله ، ومعصية النبي عين معصية الله ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى :

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

(سورة النساء)

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة آل عمران)

ولعل سر السعادة التي تغمر قلب المسلم حينما يزور مقام النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما إن يرى معالم المدينة حتى يزداد خفقان قلبه ، وما إن يبصر الروضة الشريفة حتى يجهش بالبكاء ، عندئذ تصبح نفس الزائر صافية من كل كدر ، نقية من كل شائبة ، سليمة من كل عيب

، منتشية بحبها له صلى الله عليه وسلم وقربها منه ، هذه الحقيقة هي حقيقة الشفاعة التي أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام :

((**من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**)) .

[إسناده لا يصح]

وإن شئت الدليل القرآني على ما يشعر به المسلم من سكينة وسعادة حينما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو أو بآخر هو قوله تعالى :

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ

(سورة التوبة)

وقال الرازي في تفسيره : " إن روح محمد صلى الله عليه وسلم كانت روحاً قوية صافية مشرقة باهرة لشدة قربه من الله ، ولأن قلبه الشريف مهبط تجليات الله عز وجل ، فإذا ذكر أصحابه بالخير والود ، أو ذكره المؤمنون بالحب والتقدير فاضت آثار من قوته الروحانية على أرواحهم ، فأشرقت بهذا السبب نفوسهم ، وصفت سرائرهم ، وهذه المعاني تفسر قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

(سورة الأحزاب)

***

آذان بلال

روي أن بلالاً رضي الله عنه سافر إلى الشام ، وطال به المقام بعد وفاة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى وهو في منامه وهو في الشام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك تزورني ، فانتبه حزيناً ، وركب راحلته ، وقصد المدينة فأتى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، فجعل يبكي عنده كثيراً ، فأقبل الحسن والحسين

رضي الله عنهما ، وجعل يضمهما ، ويقبلهما ، فقالا : نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصرا عليه ، فصعد على سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقفه ، ولما بدأ بقوله الله أكبر ، وتذكر أهل المدينة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت المدينة ، وخرج المسلمون من بيوتهم ، فما رأيت يوماً أكثر باكية وباكياً في المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم ، لقد صدق أبو سفيان رضي الله عنه حينما قال : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا .

هذه الحقيقة ينبغي أن تنسحب على كل مؤمن إلى يوم القيامة ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم :

((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)) .

[متفق عليه]

***

خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوادع

لقد خطب النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع خطبة جامعة مانعة ، تضمنت مبادئ إنسانية سيقت في كلمات سهلة سائغة ، كيف لا وقد أوتي جوامع الكلم .

لقد استوعبت هذه الخطبة جملة من الحقائق الذي يحتاجها العالم الشارد اليوم المعذب ليرشد ويسعد .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

(سورة طه)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ، إن الله جل وعلا ربى محمداً صلى الله عليه وسلم ليربي به العرب ، وربى العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليربي بهم الناس أجمعين ،

قال تعالى :

وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِى ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(سورة الحج)

الآية الدقيقة :

لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ

(سورة الحج)

فمن المبادئ التي انطوت عليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز ، وعلى أية حالة تكون ، وفوق أي مستوى تتربع .

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ :

((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**)) .

[أحمد]

الناس سواسية لا فرق بين أحمرهم وأبيضهم وأسودهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وقويهم وضعيفهم ووسيمهم ، لا فرق بين واحد منهم إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، هذا أول مبدأ لحقوق الإنسان ، البشرية متساوية في أي إهاب ، من أي جنس ، من أي طائفة ، من أي لون ، من أي ثقافة ، الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، والقوي والضعيف ، والوسيم والدميم .

النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها ، مؤمنة بوعده ووعيده ، مؤمنة بأنه يعلم سرها وجهرها ، النفس الإنسانية إن لم تكن كذلك تدور حول آثرتها ، ولا تبالي بشيء في سبيل غايتها ، بل ربما بنت مجدها على أنقاض الآخرين ، ربما بنت غناها على فقرهم ، بنت عزها على ذلهم ، بنت حياتها على موتهم ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع :

((**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ظ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**)) .

***

فلسفة المال

والمال قوام الحياة ، وينبغي أن يكون متداولاً بين كل الناس ، وأنه إذا ولد المالُ المالَ من دون جهد حقيقي يسهم في عمارة الأرض ، وإغناء الحياة ، فتجمَّع في أيد قليلة ، وحرمت منه الكثرة الكثيرة ، عندها تضطرب الحياة ، ويظهر الحقد ، ويلجأ إلى العنف ، ولا يلد العنف إلا العنف ، والربا يسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية التي تعود على المجتمع البشري بالويلات ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع :

((**أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلِمُونَ ، وَلَا تُظْلَمُونَ ، غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**)) .

[الترمذي]

***

النساء شقائق الرجال

النساء شقائق الرجال ، ولأن المرأة مساوية للرجل تماماً ، من حيث إنها مكلفة كالرجل بالعقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، ومساوية له من حيث استحقاقها الثواب والعقاب ، وأنها مساوية له تماماً في التشريف ، والتكريم ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع :

((**اتقوا الله بالنساء وَاسْتَوْصُوا بهن خَيْرًا ... ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد**)) .

ثم يتابع خطبته فيقول : ((**أيها الناس ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**)) .

((أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ! ... و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه)) .

((**وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ ، وَأَدَّيْتَ ، وَنَصَحْتَ ، ثُمَّ قَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**)) .

***